اللغة العربية والبنيانية

بقلم الدكتور رمضان طحان

الدراسات اللغوية : لم يمدّ أهل هذه العصور الحديثة في العالم العربي نبغتهم الى العلوم الألسنية ولم يتناولوها بما تناولوا غيرها من تجديد يبعث الحياة فيها ولم يعالجوها على ضوء مبادئ العلوم الحديثة ليبعدوا عنها ما اشتهرت به من قصور وكانت اكثر الدراسات التي صنفت على أنها دراسات حديثة هي في الواقع دراسات تقليدية تساق فيها المعلومات والنظرات والآراء دون غربلة وتمحيص حتى ان من يطالعها لا يشعر بلعثمة أو هزة ناجمة عن حرارة في رأي واضعيها بل على عكس ذلك يحس وكأنها فقدت عنصر التجديد فيقف الباحث حينئذ محاولا أن يتصيد من المعلومات التي وردت فيها الحجج الدامغة فيجدها مملوءة بالتعليلات المزهقة وبالإلغاز والتمويه المملين فيعرض عنها ويحاول التزود بالعلم الحديث لعله يبلغ غايته وهدفه .

إن فائدة كتب اللغة العربية التقليدية محدودة لأن آراء الفلاسفة وعلماء الكلام والمنطق تشوبها ولأنه قد مضى على وضعها زمن طويل "حلّ" فيها السقم والعقم فتقدم العلوم عامة والعلوم الألسنية خاصة اتاح للباحثين فرصة اتباع خطوط علمية لوضع كتب جديدة في اللغة .

استثمر العلم العصري البنيانية (structuralisme) مثلاً في مختلف الحقول حتى أنها أدخلت في العلوم الألسنية حيث أحرزت نتائج ملموسة وقد آن للدراسات اللغوية العربية أن تعتمد البنيانية كعنصر تجديد سيكتب له البقاء والنجاح المستمر .

اعتبرت البنيانية اللغة كتنظيم (système) يخضع لقوانين علمية صارمة هي :

ا — الشمول : يتألف اللسان من مجموعة من الظواهر الألسنية البحتة تدخل مجتمعة في نظام متكامل يؤدي وظيفة معينة .

ب — الانسجام : لا تتناقض مختلف الأجزاء التي تؤلف التنظيم بل تتعاون مجتمعة لتشكل وحدة متناسقة فالاجزاء في اللغة مثلاً هي الأصوات

والمفردات التي تنسجم في تنظيم تلقائي وذاتي وكل استغناء عن أصوات معينة او نشوء مفردات معينة يؤدي في خلال موقت بعقبه توازن داخلي يؤثر على التنظيم ويحدث فيه توازناً جديداً ويتيح له ادخال عناصر جديدة أو لفظ عناصر معينة وتتم هذه التغيرات دون أن تقضي على بنيانية اللغة وهيكليها وجودها .

ج — الاقتصاد : يسعى التنظيم الى عدم هدر الجهود البشرية فاللغة تعبر مثلاً بالقتضاب واختصار عما يجول في خاطر المتكلمين منها وقد يسيطر على هؤلاء المتكلمين مبدأ بذل أدنى جهد والحصول على اكبر منفعة وهذا ما يسمى الاقتصاد الآلي .

○

اللغة العربية والبنيانية : سوف نستقرئ اللغة العربية وننظر في هيكل تنظيمها لنلاحظ نوعيتها محاولين اكتشاف بنيتها على ضوء النظريات البنيانية الحديثة :

١ — لا نريد دراسة اللغة كنظام قائم في أفكار المتكلمين به وذاكرتهم بل كنظام قائم بحد ذاته او كبنيان صرف .

٢ — يضم كل تنظيم تحولات داخلية تتصرف بشؤونه وتتوزع مجاله الحيوي فالجملة وهي بهذا الخصوص صورة مصغرة عن التنظيم الكبير تتألف من عناصر يؤثر كل منها في الآخر وتتعاون تعاوناً وثيقاً لتؤدي مجتمعة المعنى المقصود .

٣ — يتألف كل تنظيم من مواد خام تسهم متضافرة في إقامة صرحه فالأصوات تؤلف الفنيات (phonèmes) التي تجتمع لتؤلف المفردات . ثم تنضم المفردات الى بعضها البعض في المقاطع الجملية او الجمل وتنتظم الجمل أخيراً في نسق معين لتعبر عن الكلام المفيد .

٤ — وبما ان الدراسات البنيانية تتوخى دراسة اللغة كتنظيم فهي تستطيع إما الانتقال من الجزئي الى الكلي إما تحليل الكليات الى جزئيات وقد آثرنا في دراستنا هذه الانتقال من الجزئي الى الكلي ولذا سوف نخصص مقالنا هذا لبحث الأصوات والمفردات وكيفية انسجامها في مفردات اللغة العربية على أن نهتم بالمواضيع الأخرى المنبثقة من النظريات البنيانية في ابحاث لاحقة .

○

علما الصوت والفونولوجيا : يتبين للباحث من استعراضه لوحدات اللغة العربية الصوتية أنه لا يزيد عددها عن الثلاثين وهي تؤلف الفنيات والمفردات التي تعالج على ضوء علمي الصوت (Phonétique) والفونولوجيا (Phonologie) . يهتم هذان العلمان بالدراسات الصوتية : يكشف علم الصوت

وقائع الاحداث الصوتية ويصف الآلة المصوتة ومخارج الحروف وكيفية تلفظ بها وانتقالها الى السامع وتقوم الفونولوجيا بدراسة الدور الذي تلعبه الأصوات لدى قيامها بأعمال وظيفية (Fonctionnel) تؤدي الى اختلافات في المعاني او المسميات (على صعيد الفونولوجيا لا فرق بين كدّ وجدّ ولكن الفرق قائم بين نقد ونقض ...) وقد تعودنا الفونولوجيا الى تحديد عدد المتطابقات والمتخالفات في لغة معينة والى ضبط علاقاتها وبنائها كما أنها تعتبر بُنى الكلمات ثابتة بذاتها وليست بحاجة في حال تحليلها الى عناصر غريبة عن طبيعتها الصوتية : الكلمة هي أصوات تجتمع في شكل معين لتؤدي معنى مقصوداً. ثم تلتزم الفونولوجيا سنن وقته اللغة (Synchronie) وتبتعد عن خط عبر التاريخ (Diachronie) وتتعلق بدراسة الأصوات كتنظيمات ذات دلالة موضوعية وقد يحل هذا النوع من الدراسات مشكلات لغة في عصرنا الحاضر.

النظريات التوزيعية واللغة العربية : تخضع أصوات اللغة العربية لنظام توزيعي معين قد يسلط عليه بعض الأضواء الكاشفة لجبر بول (Algèbre de Boole وقد يخده ليجعل منه تنظيماً مغلقاً مبدأ التنافر الصوتي (Les incompatibilités phonétiques ومبدأ الشيوع والاستعمال (l'usage) ويتم توزيع الأصوات على شكل وحدات غير مصوتة تدخل عليها المصوتات القصيرة أو الممدودة لتبعث فيها الحياة وكانت الهياكل الصامتة تكتب بالحبر الأزرق والمصوتات بالحبر الأحمر وكان لون الحبر يرمز إما الى هيكل لا حياة فيه إما الى لون الدم والحياة ويتألف الهيكل عادة من ثلاثة حروف صامتة ترتبط به أو يتجمع حروفه فكرة عامة حسية قد تعمل بها عوامل التجريد والتصعيد والتعميم والتخصيص والانتقال بالمعنى (Mutation) ويتخذ الهيكل الأصلي جساداً واشكالاً وصيغاً تعود رغم تنوع معناها إلى الفكرة الأساسية المشتركة وقد يتطور معنى بعض هذه الصيغ متخذاً له معنى جديداً متميزاً قد يجعلها واهية الارتباط بالألفاظ المنحدرة من أصل واحد وقد يحافظ الهيكل على معناه العام مثلاً في : ساس ـ سياسي : حكم ـ حاكم : عقل ـ عقل : كتب ـ مكتب : جمع ـ جامعة : نطق ـ مستنطق : هتف ـ هاتف الخ ... وقد تتحقق المفاهيم الجديدة في مفردات تصلح للاستعمال ويكون ذلك باتباع قواعد معينة جامعة شاملة تصدر عن امكانيات فاعلة أو كامنة في التنظيم الذي تخضع له اللغة العربية.

أهمية الأصول الثلاثية في اللغة العربية : إن هناك لغات معروفة تضم عدداً كبيراً من مفردات ذا تتألف من حرف صامت واحد تؤثر فيه النبرات الصوتية (Tons) وتجعله ينتقل إلى مفاهيم مختلفة وتنطبق هذه الحالة على اللغات الصينية الصينية مثلاً أما اللغة العربية فهي قلّما تتبع في بنائيتها طريقة الصوغ من حرف واحد وقد تلجأ اليه في حالات معينة وتستطيع أن تعالج المفردات العربية التي تتألف من صوت واحد من ناحيتيها الحسابية والواقعية على الشكل التالي : تتألف أصوات اللغة العربية الصامتة من ٢٩ حرفاً تدخل عليها الحركات الخفيفة والممدودة فيكون الحاصل :

٢٩ × ٦ (اي فتح وضم وكسر في حالتي الحركتين الخفيفة والممدودة)= ١٧٤ . تنحصر في الواقع الكلمات التي تتألف من حرف واحد في بعض الاسماء (فم : فا . فو . في : اسم الذات للذكور والإناث : ذا . ذو : ذي . تا . (تو) . تي) وفي بعض حروف العطف والاستفهام والجر والقسم والنداء والندبة الخ ... وفي بعض الضمائر المتصلة المرفوعة والمنصوبة والمجرورة وفي أمر اللفيف المفروق (أمر وقى . وقى . وعى: قِ . فِ : عِ) وقد وعى المتضعون من التنظيم الصوتي العربي وهن الكلمات (mutilés phonétiques) التي تتألف من صوت واحد أو من مقطع واحد وجعلوا هذه المفردات تلتحق بوحدات صوتية لكي تتألف من أكثر من صوت واحد أو اشبعوا الضعيف منها وهذا ما حدث مثلاً لأمر اللفيف المفروق (قِ . فِ . عِ — قِيهْ : فِيهْ : عِيهْ) .

اعتمدت اللغة العربية وضع مفردات تتألف من حرفين صامتين تضاف اليهما الحركات الخفيفة والثقيلة ويتم ذلك نظرياً بالعملية الحسابية التالية ٢٩ أو ٢٨ (بإسقاط الهمزة التي تتلاشى احياناً في حركات المد) × ٢٧=٧٥٦ .

ولكن عملياً لا نجد في اللغة العربية إلا عشرات من الكلمات التي وردت في بعض كتب اللغة (أب : أم . أخ . أخت . حم . دم . يد : بن . بنت : اسم . شفة . رئة الخ ...) وقد اختفت بعض هذه الثنائيات احرف إضافية ثلثت لتظيها وأدخلتها في التركيب المورفولوجي (Morphologie) العربي السائد والشائع .

ترتكز البنائية العربية على أصول ثلاثية ولئن كانت هناك جذور ثنائية فهي لم تشكل سوى مرحلة تاريخية من مراحل تطور اللغة العربية فقد تم تحول بنائية العربية إلى أصول ثلاثية بفعل تحولات داخلية بحتة (انظر آراء

الأب فليش (Père Fleisch: la flexion interne) نذكر منها المد والتضعيف وزيادة حرف واحد على الحرفين الأصليين مما أدى إلى أصول بلغت حد الاكتناز (انظر رأي الاستاذ پلاّ (Charles Pellat: l'étoffement) وتكون معظم الكلمات العربية منطلقة من مرتكز بنياني أساسي هو الأصل الثلاثي ويحدث ذلك نظرياً على الشكل التالي :

٢٨÷٢٧÷٢٦ (باعمال تنوع حركات عين الأصول الثلاثية) = ١٩٦٥٦

وقد يحد من فعالية هذا العدد الهائل من الأصول مبدأ التنافر الصوتي والاستعمال وقد تكتفي اللغة بعدد صغير من الجذور (٣٠٠٠ تقريباً) يتم بموجبها وضع معظم الكلمات العربية . تتولد الكلمات من الأصول الثلاثية في احداثيتين ثابتين (abscisse et coordonnée) هما احداثية مزيدات الأصول الثلاثية واحداثية مشتقات الأصل ومزيداته اي خط الصفات والاسماء وكلما تقاطعت الخطوط المنبثقة عن الاحداثيتين تولدت مفردة قد تدخل الى حيّز الاستعمال المباشر أو قد تبقى في حيّز الكمون تنتظر الفرصة الملائمة لتشق لنفسها طريق الوجود . وخلاصة القول ان معظم الكلمات في اللغة العربية ينشأ عن أصول ثلاثية (ثلاثة حروف صامتة وغير متصوتة) هي حجر الزاوية لبناء تنظيم رياضي متكامل .

إن القول بوجود بعض الأصول الرباعية في اللغة العربية قضية هامة تحتاج الى دراسة مستوعبة . لم تستثمر اللغة العربية حتى الآن الإمكانيات الكامنة والناجمة عن الأصول الثلاثية ونستطيع أن نقوم بعملية حسابية بسيطة تبين لنا عدد الأصول النظرية التي قد تنشأ عن استثمار الأصول الرباعية في اللغة العربية :

٢٨×٢٧×٢٦×٢٥ = ٤٩١٤٠٠

تضاف إلى هذا العدد الهائل من الجذور مشتقات الرباعي ونلاحظ في هذه المناسبة ان اللغة العربية أداة طيعة وحقل تجربة ناجح للنظريات البنيانية وانها لغة الأحرف التي تخضع لتنظيم رياضي قد يؤول الى لغة ومزية تفوق فيها وسائل التعبير المفاهيم التي قد يستوعبها الفكر البشري . ويتبين لنا من العودة الى واقع اللغة العربية ان الأصول الرباعية تتمتع بميزات تشبه تلك التي تتمتع بها الأصول الثلاثية اي حق التفريع والتوليد بموجب احداثيتين ثابتين هما احداثية المزيدات الفعلية واحداثية المشتقات الخاصة بالأسماء والصفات . وقد اكتفت اللغة العربية حتى الآن بعدد صغير من الأصول الرباعية قد جاءتها من الأسماء (برطل ، برجم ، خرطم) او من

كلمات اجنبية (تلفز . تلفن) أو دخلتها عن طريق أصول ثلاثية أضيف إليها حرف واحد تصديراً أو إقحاماً أو تذييلاً (قشعر . خنبص . حرجم) أو نتجت عن تكرار أصل ثنائي (زلزل) وهذه هي الحالة التي تنطبق على ما يسمى الأفعال الرباعية المضاعفة .

في اللغة العربية مفردات تتألف من أكثر من اربعة احرف غير ناتجة عن أصول ثلاثية أو رباعية وهي غير مألوفة في العربية لأن معظمها أخذ من كلمات سامية متدثرة او من اللغات الأعجمية القديمة والاجنبية الحديثة (قسطاس بلغة الروم الميزان . الاسطبرق بلغة الفرس الديباج الغليظ . الأرائك بلغة الأحباش السرر ؛ تلسيذ بالعبرية تعود الى تلمود . صالون وبالون وغالون من الفرنسية ...) . تقوم البنيانية العربية بعملية اقتباس وتساير اللغات العالمية في حركتها التطورية وتسعى في هضم ما نسميه بالدخيل وتمثله . لا تعيش لغة بمعزل عن غيرها فكان من الطبيعي أن تتعرض لغة العرب لتأثر . فتسرب إليها كلمات أجنبية . تأقلم وتتغير أبنيتها وتعرّب وتفقد عجمتها وتحاكي الكلمات العربية الأصل . وفي هذا الأمر نفع محقق يؤدي الى توسيع شبكة مفردات اللغة وإلى تنمية مواد حقيقيا المتنوعة وهو يتيح الفرصة للباحثين لكي يعثروا على مصطلحات جديدة تدعو إليها الحاجة الأدبية وبعض متطلبات الحضارة الحديثة (لنا رأي خاص في طرق وضع المصطلحات العلمية ولا نتكلم هنا إلا عن المصطلحات الحضارية) وقد اتبعت اللغة العربية في تعريب الدخيل وجعله في بنيانيتها المميزة طرقاً معينة فعربت كلياً بعضه (رجل الشارع وهو تعبير انكليزي . الجندي البسيط وهو فرنسي) أو اقتبسته وجعلته قريباً من أبنيتها أو محولا عليها، مجانساً لما تألفه العرب من أصوات وحروف وإمالات صوتية (برنامه : برنامج ؛ بالوده : فالوذج ؛ بنشه : بنفسج ؛ شلواد : سروال مع تغيير مكاني حرف أو اكثر واكثر واكثر والمحافظة على وزن اللفظة ؛ نبهره : بهرج ؛ پرادايس : فردوس مع تغيير حرف أو اكثر وحذف حرف او اكثر ؛ نشاسنج : نشاء مع استبدال مجموعة حروف بحرف ...) ثم اخضعت الدخيل لأوزان عربية واشتقت منها وصرفتها (تأمرك ومتأمرك ؛ تلبنن ومتلبنن ؛ خندريس ومخادر ؛ صالون وصالونات . سيجارة وسجائر ...)

تقنية بنيانية وضع المفردات : تتم عملية وضع المفردات في اللغة العربية بموجب مبدأ عام قد يصلح كقانون : كل زيادة في الاحرف تؤدي إلى

زيادة في المعنى او يحصل الاختصاص في المعنى بفعل الزيادة في الاحرف وتحصل هذه الزيادات بواسطة تحولات داخلية صوتية بحتة قوامها :

١ ــ **الأصوات القصيرة والممدودة** : يتحقق معنى الأصول الثلاثية المشتركة في أحرفها والمختلفة في معناها بواسطة حركة عين مضارعها : (عرف : يعرِف ، يعرُف ، يعرَفُ) وتكون الصوتات العربية إما قصيرة (ضمة وفتحة وكسرة) إما ممدودة (و ا ي) وهذا يمنح العربية صفة الاعتماد على كمية اطلاق الصوت لتوليد المعاني الجديدة (حكم وحاكم ؛ حُكِمَ ويحكم) .

٢ ــ **تكرار الأصل جزئياً أو كلياً** : إن الشدة او التضعيف عنصر هام في عملية توليد الكلمات وبما أن الشدة تساوي اي حرف من حروف الابجدية العربية فنظرية تحديد أحرف الزيادة وحصرها في (سألت منه) تسقط أمام التحليل المحص (مدَّ ، مرَّ ؛ فضَّ بزيادة الدال والراء والضاد ؛ او بتكرار الأصل جزئياً ، زلزل بزيادة الزال واللام او بتكرار الأصل كلياً) .

٣ ــ **قلب ترتيب أحرف الأصل** : ان ادخال أصل ثلاثي معين في دارة وتقليبه على وجوهه الستة يصح مبدئياً في الدراسات البنيانية ولكن التعليلات المرهقة القديمة التي قيدت احرف الابجدية بمعان معينة هي من فئة النظريات المتعلة التي علقت عليها المناهج القديمة وافرغتها من كل محتوى علمي .

٤ ــ **ادخال احرف الزيادة** (affixation) : إن حروف الزيادة التي تدخل الأصول الثلاثية خاصة تصديراً واقحاماً أو حشواً وتذييلاً تطور معنى الأصل وتولد كلمات جديدة فيشتق من وزن فعل أوزان أفعل وتفعّل وتفاعل وافتعل وانفعل وإفعل واستفعل التي بدورها تصلح لأن تشتق منها مختلف المصادر (المصدر العادي والمصادر الميمية ومصدر النوع والمرة) واسم الفاعل والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة وأفعل التفضيل واسم المفعول والمكان والزمان والنسبة والتصغير وجموع التكسير ...

٥ ــ **الإلصاق** (agglutination) : لجأت اللغة العربية إلى التركيب المزجي في بعض اسماء الاعلام الأعجمية : بيت لحم وبختنصر . ولكن الإلصاق وهو من قبيل التركيب المزجي لا يبدو كميزة عربية قوية البروز وقد تأثرت اللغة العربية باللغات الأجنبية واستعملت طريقة الإلصاق كوسيلة اغناء جديدة (لامبالاة ؛ غير موضوعي ؛ عدم الاكتراث ...) وهذه الطريقة غير مرفوضة وانما تبدو وكأنها على هامش هذه الدراسة البنيانية .

٦ ــ النحت (télescopage) : إننا نذهب الى تخطئة اكثر ما صنف مع الأصول الرباعية المنحوتة فقد طرأت على هذه الأصول زيادات لم ترد في (سألت منه) اي بواسطة حروف لم يعتبرها القدامى كأحرف زيادة شرعية وتميل اليوم الى اعتبارها كأحرف زيادة لها ما لاحرف الزيادة التقليدية المعروفة . لا يتناول النحت الحقيقي إلا عددًا قليلاً من المفردات القديمة نذكر منها (حيعل والحيعلة : حمدل والحمدلة : عبشمي وعبشمي) وقد ظهر النحت في بنيانية بعض الألفاظ الحديثة (برمائي : مدرجي اي مادي ــ روحي : مكرماني اي مكاني ــ زماني ؛ جوقلة اي النقل الجوي لعمليات حربية معروفة الخ ...) كما أن هناك كلمات سادت فيها النطق الغربية المتبعة في النحت اي الاحتفاظ بمطالع الكلمات لتسمية مؤسسات أو مصالح معينة (مؤسسة الاونيسكو : مصلحة الأونروا ...) .

=

الأوزان العربية : إن الوزن الحقيقي هو الذي تتطابق فيه اوضاع حروف الوزن مع حروف الفرع والذي تدخل فيه الزيادات عينها التي تدخل الفرع في الموضع المقابل لها في الوزن وتضاف الى هذه المطابقة الهيكلية مطابقة صوتية كاملة بين الوزن والفرع .

فعل : كتب : مفعل : مكتب : مستكتب : مستفعل .

إن عملية الوزن تخضع الى مبدإ شامل يتجلى في معظم الأوزان العربية التي تعكس عند حروف الكلمة التي نريد أن نزنها ونوعيتها وأصوات حروف هيكلها اي نجد على حروف الفرع المصوتات نفسها التي تتسم بها حروف الوزن . وتضم هذه الأوزان معظم الصيغ أو أبنية الكلمات العربية وهي تنتظم المزيدات والمشتقات على حد سواء في وضع شمولي . اقتصادي بمعنى ان الاوزان تحول آلاف كلمات الى عدد محدود من الرموز الهيكلية والصوتية ويتسم هذا التنظيم العارم خاصية : تلقائية . أساسية : تهيمن على اللغة العربية لدرجة أنها تدخل في هذا التنظيم الكلمات المستعارة من اللغات الأعجمية والأجنبية وتصبح الكلمات المعربة جزءًا لا يتجزأ من اللغة العربية فتدخل في تنظيم متماسك قوي يخضعها لخصائصه .

إن أوزان الأفعال المزيدة والأسماء والصفات المشتقة من الثلاثي السالم صالحة كأوزان تنطبق عليها مواصفات الوزن الموضوعي ثم إن الأصول الثلاثية هي المعتمدة في اللغة العربية وان التوليد يرتكز عليها بشكل أساسي وبالتالي إن بنيانية اللغة العربية التي تعتمد الأصول الثلاثية السالمة خاصة

تخضع الى نظام جامع شامل لا شذوذ فيه . ولكن عملية التقعيد (gram-maticalisation) التي قام بها الصرفيون أدت إلى حصول بعض الخلل في الأوزان العربية ومن تفحص بعض بنى الأصول الثلاثية يتبين لنا ان هناك ثنائيات عوملت بوزن فَعَلَ وجعلت ثلاثية في لفظها لتدخل في نطاق التركيب المورفولوجي العربي وانها ثلثت بالطرق التالية :

١ ــ ان ابسط أنواع طرق التثليث التقنية هو اللجوء الى المد العوني الناتج عن خلاف نوعي في طبيعة المصوتات وليس عن خلاف في طبيعتها : مد ← ماد ؛ مع ← ماع ؛ خر ← خار ؛ فح ← فاح ؛ شد ← شاد .

٢ ــ هناك طريقة ثانية بسيطة للتثليث تقوم على تضعيف الحرف الثاني من الثنائيات والشدة في اللغة العربية مرتكز هام في بنيانيتها : مد ــ مدّ ؛ خر ــ خرّ ؛ شد ــ شدّ .

٣ ــ تعتمد الطريقة الثالثة الشائعة الغالبة في التثليث على زيادة حرف على الثنائيات بغير طريقتي المد او تضعيف الحرف الثاني ولا يهمنا في هذا المقام قبول نظريات معينة أو رفضها منادحا أن أصل اللغة هو من أصوات الطبيعة (onomatopée) وان اللفظ يناسب لمدلوله مناسبة طبيعية وان الحرف الثالث الزائد يمثل مادة تعبيرية ومختصرها (جذّ ← جذر ؛ جذع ؛ جذل ... قطّ ← قطع ؛ قطف ؛ قطل ؛ قطم ...) ولسنا بحاجة لان نبحث عن معنى أحرف الزيادة المختلفة فالذي يهمنا هو ما كان من الأصول الثنائية التي متى ثلثت دلت أولا على أحداث تصلح لأن تكون مرتكزا لتوليد الكلمات والأبنية وأدّت ثانياً الى تنظيم موضوعي تهيمن عليه فكرة إقامة الوزن الصحيح وتحقيقها بواسطة وزن فعل ومشتقاته .

يتبين لنا من العودة الى الحالتين رقم ١ و ٢ اللتين وردتا في أعلاه ان معاملة ماد ومدّ واخواتهما مع وزن فعل هي من قبيل المعاملات المغلوطة وأن الوزن الصحيح لـ ماد هو فاع ولـ مدّ هو فعّ ولسنا بحاجة في هذا الباب لالتماس تعليلات مرهقة قد وردت في اللغة العربية في باب الإعلال والادغام: إن البنيانية ذات حلول سليمة سهلة المأخذ وقد أسهمت في حل مشاكل عويصة قد صادفتها بعض اللغات الأجنبية (لقد حلّت مثلاً قضية تصريف الأفعال التي تصرف تصريفاً غير قياسي (irréguliers) في اللغة الفرنسية) وقد تبعد عن ذاكرة المتأدبين أوزاناً مغلوطة عمل اللغويون لاقامتها كل ما أوتوا من حذلقة وقد أدّى افتعالها الى دراسات عقيمة تتعلق خاصة بالمفردات التي انحدرت منها (انظر الدراسات التقليدية التي تتعلق بكلمتي ميزان ومبيع مثلاً) .

وعندما نتفحص وزن فعلل نجد ان مغالطات الوزن تبلغ حد الشطط . إن فعلل هذا صيغ من فعل بتكرار اللام ويعني التكرار في لغة الوزن ان الحرف الأخير من الصيغ التي يزنها فعلل يجب أن يكون مكررًا وبما انه قد اختلف الحرف الثالث عن الرابع في الأصول الرباعية لذا يجب ، تحاشيًا من الوقوع في الخطأ . جعل الحرف الأخير في وزن فعلل غير اللام وايجاد بالتواطؤ حرف هذه الصيغة يختلف عن الحروف التي وردت في فعلل وحينئذ لا يصلح وزن فعلل لقياس الأصول الرباعية من ناحية مطابقة أحرفه للاصل المراد وزنه ولكنه يصلح كوزن صوتي اي ان هيكله يحمل أصواتًا تتكرر في هذا النوع من الصيغ (فعلل : دحرج . علمن . زلزل ؛ يفعلل : يدحرج . يعلمن . يزلزل) .

وفي حال إقامة وزن للاصول الرباعية وذلك بواسطة حرف غير اللام الثانية (فعلّ مثلاً) نستطيع حينئذ بعد أن انطبقت مواصفات الوزن الموضوعي على فعلل ان نخصصه للاصول الرباعية التي جاءت الى اللغة العربية عن طريق الاشتقاق من الاسماء (برطل . برجم . خرطم) او عن طريق التعريب (تلفز . تلفن) ولكننا نقع في اللبس عندما نحاول وزن الأصول الثلاثية التي انتقلت الى الرباعي والتي اعتبرت خطأ رباعية أو وزن ما يسمى الأصول الرباعية المضاعفة .

١ — لم يكن بعض ما يسمى رباعيًا مجردًا إلا مزيدًا ثلاثيًا ادخلت عليه احرف لم ترد في (سألتمونيها) وقد كان للرأي بنحتها مضاعفات على صعيد الوزن : كيف نجد في بزعر الذي يقال عنه من زعر وبزع الحروف الأصلية التي تتطابق مع ميزانها البنياني وكيف تكتشف الحروف التي اسقطت من الأصلين الثلاثيين والتي استبقيت منهما ثم كيف نزنه على فعلل المغلوط أصلاً ؟ والأصح هو أن نعيد الى تفسير لغوي صحيح وأن نعود الى ميزان فعل كأساس لهذا النوع من الرباعيات وان نرسم الموازين البنيانية بشكل دقيق حتى ينطبق كل حرف أصلي مع حرفه في الميزان وكل حرف زائد مع ما يقابله في الميزان ونتعرف بعدئذ على كل حرف زائد في الأصل وفي ميزانه وندخل على وزن فعل الحروف الزائدة التي تأتي تصديرًا أو حشوًا أو تذييلاً ونسجل الزيادات في مواضعها وفي المكان الذي دخلت فيه واعتمادًا على عملنا هذا تأتي الأصول الآتية على وزن :

— خلبن . كلمن . علمن . شخصن على وزن فعل + ن = فعلن .

— جندل على وزن فنعل اي بزيادة النون حشوًا .

— بزعر ؛ بركل ؛ بزمخ على وزن ب ÷ فعل = بفعل .
— دحرج ؛ حدرج ؛ صفرج على وزن فعل + ج = فعلج .

وتصبح هذه الأنواع من الرباعيات التي قيل عنها مجردة من مزيدات الثلاثي وذلك عملاً بمبدإ بعج الأوزان الثلاثية وإضافة اليها أوزان غير مشكوك في أصولها الثلاثية :

كما أنه هناك أصول رباعية اعتبرت منحوتة ولا يظهر الأصلان فيها بوضوح بل يبدوان متداخلين متشابكين ضائعين غير أكيدين وقد تبلورت هذه الأصول عبر التاريخ ولا حاجة للكلام بتعددها عن عملية نحت اعتبرتها فاسباب اكتنازها تعود الى تولد أحرف زائدة صامتة قد حولتها من ثلاثيات الى رباعيات ولا يتقابل فيها اي حرف في الوزن مع اي حرف آخر في الأصل ومن المستحسن حسماً لكل نزاع وزنها على فعلد .

٢ — لا يجوز لنا أن نعالج في ما يسمى الرباعي المضاعف زلزل مثلاً الذي يتألف من تكرار ثنائيين على وزن فعلل فالثنائي يتألف من وزن فع مكررًا ويكون وزن زلزل على فعفع .

وتترتب على كل ما تقدم النتائج التالية :

١ — إن إمكانية التشديد اي تكرار كافة حروف الابجدية العربية تقضي على نظرية تحديد حروف الزيادة الصوتية والصامتة في سألتمونيها .

٢ — إن الثنائيات التي إنتقلت الى ثلاثيات بالشد والمد لا يمكن أن نزنها على فعل بل يجب ان نجد لها أوزاناً خاصة وبالتالي يجب أن نزنَ مشتقاتها على أوزان يترتب علينا وضعها (علينا إعادة النظر في كل الأصول الثلاثية غير السالمة المضاعفة والمهموزة والمعتلة واللفيفة الخ ... ومشتقاتها ومعالجتها على ضوء مبادئ الفونولوجيا الحديثة وإعمال باب الاعلال والادغام اللذين قام بوضعهما اللغويون رغبة منهم في تقعيد (grammaticalisation) ما استعصى من الأصول التي لم تنصع بسهولة في فئات الأوزان التي استحدثوها .

٣ — إن وزن فعل السالم ومشتقاته ينطبق تمام المطابقة في تحولاته واشتقاقه مع عدد الحروف ونوعية الأصوات التي يزنها وترتسم فيه الأحرف الزائدة في مواضع تناسب المواضع التي ارتسمت فيها في الوزن ويناسب كل حرف حرفه في الميزان مع الحركة الملائمة :

فعل : ضرب ؛ أفعل : أضرب ؛ إنفعل : إنكسر ؛ تفاعل : تقاتل ؛ استفعل : استغفر ؛ إفعوعل : إخشوشن ؛ مفعول : منقول ؛ مستفعل : مستنجد .

٤ – يلاقي وزن فعلل عدداً كبيراً من التحفظات وهو لا يصلح بشكله الحاضر لقياس الأصول الرباعية خاصة ومشتقاتها عامة .

٥

ليست الغاية من هذه الدراسة بحث مفهوم الوزن ووضع أوزان عربية قد تنطبق على عدد قليل من الكلمات بل القصد توضيح الخطأ الكامن في بعض الأوزان ونقش نظريات القياس عليها خاصة وان إعمال الآلة في اللغة بحاجة الى تصحيح الوزن حيث خطه الخطأ وقد يتعدى الأمر هذا المشكل في الآلات الالكترونية (Computeurs et Ordinateurs) ويتجاوزه الى قضية وضع أوزان أو على الأقل نماذج (prototypes) تتفق مع واقع اللغة العربية . ورغم دخول الآلة الى عالمنا الحديث هناك من تمسكوا بالأوزان التقليدية وشخصنوها وأذوها في غير تسامح ووقفوا وقفة طويلة عندها فجذبتهم ببهرجها وأنستهم مبادئ المنطق السليم وقد رأينا لزاماً علينا أن نعود الى القياس اللغوي الصحيح وأن نعيده الى طريق الصواب لكي يستقيم الوزن وتتحطم أصنام جوفاء وتستنبط أوزان صحيحة تصلح لقياطيس مستقيمة .

المراجع

N. Chomsky, *Syntactic Structures*, La Haye, 1957.

H. Fleisch, *L'arabe classique, esquisse d'une structure linguistique*, Beyrouth, n.éd. 1968.

C. Pellat, *Introduction à l'arabe moderne*, Paris. 1956.

E. Sapir, *Le langage*, Paris, 1967.

F. de Saussure, *Cours de linguistique générale* (publié par C. Bally et A. Séchehaye), Genève, 1916.

N.S. Troubetzkoy, *Principes de phonologie*, Paris, 1949.